سماحة الأخلاق
وأثرها في الدعوة إلى الله

إعداد

الدكتور / حمزة بن سليمان بن راشد الطيار

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة و الاحتساب

بكلية الدعوة والإعلام

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأنعم علينا بنعمة الإيمان، وأمرنا بالإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن سماحة الأخلاق لها أثر عظيم في توثيق العلاقة بين الناس، وتأصيل المودة والمحبة بينهم، خاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فقد استطاع النبي ﷺ من خلال سماحة الأخلاق أن يؤثر في الناس، ويكسب ودَّهم، ويرغبهم في الإسلام، لذا حث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على سماحة الأخلاق، وكان رسول الله ﷺ أعظم أسوة في سماحة النفس ولين الطبع، وسهولة المعاملة، وكمال الخلق، فكان النبي ﷺ بأخلاقه صاحب دعوة عملية للتخلق بالسماحة وبسائر الفضائل، ومحامد السلوك.

ولم يكن ﷺ نكداً ولا صعباً ولا فظاً ولا غليظاً، لذلك أثنى الله عليه بالرّقة ولين الجانب ولطف الحديث إذ نفى عنه الفظاظة وغلظ القلب فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

إن سماحة الأخلاق لها أثر فاعل في الدعوة إلى الله، لأنه من خلال تحلّي الدعاة بالسماحة والعمل على نشرها بين الناس، وبيان آثارها يمكن جني الثمار الطيبة المتمثلة في التأثير الإيجابي على المدعوين، وقد أثمرت سماحة الأخلاق في دعوة النبي ﷺ، وذلك من خلال تخلقه ﷺ بالحلم والعفو وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة ورحمته بالناس ورفقه بهم وإحسانه إليهم مما كان له الأثر العظيم في الدعوة إلى الله، فكان ﷺ قدوة للدعاة في سماحة الأخلاق. لقد جاء هذا البحث

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

الموجز لبيان سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى عبر المباحث التالية:

المبحث الأول: الحلم وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: العدل وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع: الرفق وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث الخامس: العفو وأثره في الدعوة إلى الله.

المبحث السادس: الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ،

المبحث الأول
الحلم وأثره في الدعوة إلى الله

الحلم من أبرز الأخلاق التي تتجلى فيها سماحة الإسلام، قال ابن منظور: "وحلم يحلم حلماً تأنَّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة، والحليم في صفة الله عز وجل معناه: الصبور، وقيل: هو الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه"(١).

وقال الراغب في المفردات: "الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"(٢).

وقال الجرجاني: "الحلم هو الطمأنينة عند ثورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم أي مجازاته بظلمه"(٣). وقد حث القرآن الكريم على خلق الحلم فهو صفة من صفات الله - عز وجل- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٥).

قال الإمام الطيبي: "والحليم من أسماء الله الحسنى وهو الذي لا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام، وحاصله راجع إلى التنزيه عن العجلة وحظ العبد منه أن يتخلق به ويحمل نفسه على كظم الغيظ وإطفاء ثائرة الغضب بالحلم، قال الشيخ أبو

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ٢/٩٧٩، ٩٨٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ١٢٩.

(٣) التعريفات، الإمام الجرجاني ص ٩٢

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

القاسم: وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوه لأنه إذا ستر في الحال بفضله، فالمأمول منه أن يغفر في المآل بلطفه، قال القاضي: الفرق بين الحقود والحليم: أن الحقود يؤخر الانتقام انتهازاً للفرصة، والحليم يؤخره انتظاراً للتوبة"[1].

وإذا كان الحلم من صفات الله- عز وجل- فهو أيضاً من صفات الأنبياء، قال سبحانه عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2]، وقال عن إسماعيل عليه السلام: مبشراً أباه به: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[3]، وقال قوم شعيب عليه السلام عنه كما حكى القرآن: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[4]، ومن حلم الله بعباده عدم تعجيل الشر لهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5].

وإذا كان القرآن الكريم قد حثّ على الحلم وجعله من صفات الله سبحانه وصفات أنبيائه فقد دعت السنة النبوية إلى التخلق بخلق الحلم وتعظيم أمره، وتمجيد الأناة التي هي من الحلم أو قرينته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للمنذر بن عائذ - أشجّ عبد القيس- : (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)[6].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الإمام محمد بن عبدالله الطيبي، ٣٦/٥.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ١١٤.

(٣) سورة الصافات، الاية: ١٠١.

(٤) سورة هود، من الآية: ٨٧.

(٥) سورة يونس، آية: ١١.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم ١٨.

ومن مظاهر سماحته وحلمه ﷺ ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: (دَعوهُ، وهَريقوا على بَولهِ سَجْلاً من ماءٍ - أو ذَنوباً منْ ماءٍ - فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين)[1].

"فقد علم الرسول ﷺ في هذا الحديث كيف تكون سماحة الأخلاق بالحلم مع الجاهلين، وكيف يكون الرفق بهم وكيف يجب أن يكون الدعاة إلى الله دعاة الحق والخير والفضيلة ميسرين لا معسرين"[2].

وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ[3]. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: (لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ[4] عَلَيْهِ[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد رقم ٢٢٠.

(٢) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان، ط/١ دار النشر الدولي، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٥٠.

(٣) كلمة زجر، ومعناها: اسكت، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ٢٨٧.

(٤) فشنّه: أي فصبّه، المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الوضوء، باب: ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد رقم ٢١٩، وصحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم ٢٨٥.

ففي الرواية الثانية زيادة مفيدة، تبين حكمة رسول الله ﷺ التربوية لهذا الأعرابي الجاهل بآداب المساجد، وهي تدل على حلمه وسماحته ﷺ وحسن سياسته وهذا الخلق العظيم هو الذي ملك به قلوب أصحابه ﷺ وفرض به احترامه على أعدائه[1].

إن دعوة الناس إلى الإسلام تحتاج إلى الحلم خاصة مع الجاهلين، لأن الحلم يعد من مفاتيح شخصيات كثير من الناس، لأن الداعية حينما يفتقد الحلم فإنه يفرق أكثر مما يجمع وينفّر أكثر مما يؤلف، ومن ثم فإن تحلي الداعية بالحلم يجعله متسامحاً مع المدعوين مراعياً لأحوالهم وظروفهم وهكذا كان ﷺ في دعوته فعن أنس ﷺ قال: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللّهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ. فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[2].

فأي احتمال أشد من هذا الاحتمال، وأي عفو أشد من هذا العفو؟ أعرابي يجذب رسول الله ﷺ ويؤثر في عاتقه ويلتفت إليه وهو يضحك ومع ذلك يلبي طلبه بكل سعة وارتياح، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الرحيم بالأمة.

---

(١) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢٥١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: التبسم والضحك، رقم ٦٠٨٨، وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظة، رقم ١٠٥٧.

وإذا كان هذا الأمر يواجه أفضل الخلق - محمد بن عبدالله ﷺ - ومع ذلك يتحمل ويعفو ويسامح فغيره من باب أولى، وهذا يبين مدى سماحة أخلاقه ﷺ [1].

ومن أعظم الأمثلة التي ضربها رسول الله ﷺ لأمته والتي تدل على سماحة خلقه وشدة حلمه وعفوه ما روته أم المؤمنين عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[2].

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/٢، ١٤٢٥هـ/١٩٩٤م، ٣٠٢/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، رقم ٣٢٣١، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم ١٧٩٥.

هذا الحديث يبين بوضوح سماحة الأخلاق والعفو والحلم الذي جبل عليه الرسول ﷺ يأتي ملك الجبال في ساعة ضيق وحرج من القوم ويأتي إليه لكي ينتصر له وأي نصر؟ إنه هلاك القوم.

لكن نصرة الرسول ﷺ بعيدة وبعيدة، فهو لا ينظر إلى الساعة التي هو فيها فقط، ولكنه ينظر إلى المستقبل البعيد، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله، فعلاً أصابت نظرة رسول الله ﷺ فخرج من أصلابهم آلاف الرجال الأفذاذ الذين عبدوا الله على أكمل وجه[1]. لقد كانت نظرة النبي ﷺ بعيدة تجاوز فيها آلامه النفسية والجسدية واستشرف الأفق الرحب للدعوة الإسلامية، لأن هداية الناس إلى الإسلام هي الغاية التي يسعى إليها ولأن تعبيد الناس لخالقهم هو الهدف الأسمى، ومن ثمَّ فإن سماحة خلقه ﷺ وحلمه كان لها الأثر العظيم في دعوته. ولقد كان رسول اللهﷺ دائماً يوجه أصحابه إلى عدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وإنما يدعوهم دائماً إلى السماحة والعفو والإحسان والتحمل لمعرفته ﷺ بما يصلح النفوس، فالعفو والتسامح أقرب إلى الإصلاح من المقابلة بالمثل.

لقد شكا أحد الصحابة ما يجده من أقربائه من سوء المعاملة رغم إحسانه إليهم، فأمره بالاستمرار بحسن معاملته وبين له النتيجة في النهاية[2]. فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً. أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز المسعود ١/٣٠٠.

(٢) المرجع السابق ١/٣٠٣.

عَلَيَّ. فَقَالَ ﷺ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ. وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ)[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: لَيْسَ بِذٰلِكَ. وَلٰكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)[2].

وكلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم، ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين في حقه فقد قيل لرسول الله ﷺ: ادع على المشركين، قال: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)[3].

وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه، ويكظم غيظه ويملك قوله، ويتجاوز عن الهفوات، ويرثى للعثرات تكون منزلته عند الله[4].

إن الدعاة إلى الله تعالى أحوج الناس إلى خلق الحلم لأنهم قد يصادفون من المدعوين من هو فظ غليظ، ومن هو متجاوز حده ولا يفلح مع هذا الصنف إلا الحلم وسماحة الخلق، حيث يستطيع الداعية من خلال تحلّيه بسماحة الخلق أن يستوعب أصناف المدعوين.

"إن الداعية الحكيم لا بد أن يتحلى بسعة الصدر وجميل الصبر حتى تثمر دعوته ويحقق أهدافه، ويبلغ غايته. ويخطئ أفحش الخطأ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٢٥٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم ٢٦٠٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم ٢٥٩٩.

(٤) خلق المسلم، الشيخ محمد الغزلي، ط/٢ دار القلم، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١١١.

من يظن أن المشكلات الفردية أو العادات الاجتماعية يمكن أن تعالج بجرة قلم أو قوة سلطان، أو فورة غضب فإن تغيير السلوك الفردي أو الاجتماعي ليس كتغيير شيء من الجماد عن موضعه، وإن فطم النفس عن المعصية إذا ألفتها واعتادت عليها من أشق الأمور وأصعبها، والداعية الأريب يجب أن يكون عارفاً بدوافع النفوس وكوابحها، قادراً على حسن توظيفها واستغلالها حتى لا تفل عزيمته ولا يدب اليأس إلى قلبه، وينكص على عقبيه"[1].

إن الحلم هو الأناة والتثبت في الأمر وما يلزم ذلك من ضبط النفس عن الغضب وكظم للغيظ وعفو عن السيئة، "والداعية الحليم هو ذو الأناة الذي لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه، ولا يتسرع بالعقوبة بل يضبط نفسه ويتريث وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة، وكل ذلك لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب ولأهمية خلق الحلم فيجب أن يتجنب العجلة الرعناء في تصريف الأمور، وفي القيام بالأعمال وفي الحكم على الأشياء، واستعجال الأشياء قبل أوانها والسرعة في العقاب دون إمهال تقتضيه الحكمة التربوية، وأن يتجنب الطيش كلما ثارت في النفس ثائرة، وكلما تحرك في النفس دافع من الدوافع لتحقيق مطلب من المطالب، وأن يتجنب سرعة الغضب حينما يصطدم الإنسان بما يثير غضبه أو يخالف هواه"[2].

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١١٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٩١.

المبحث الثاني
الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله

إن الرحمة مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام، يقول أبو البقاء الكفوي: "الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"(١).

والرحمة من صفات الله - عز وجل- ، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾(٢).

ورحمة الله خير من كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٣). ورحمة الله قريبة قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)، ورحمة الله واسعة، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٥)، والرحمة من صفات الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾(٦)، وجعل الله الرحمة من صفات النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾(٧).

---

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي ص ٣٧٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ٥٨.

(٣) سورة الزخرف، من الآية: ٣٢.

(٤) سورة الأعراف، من الاية: ٥٦.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.

(٦) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٧) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

قال ابن كثير: "يخبر الله تعالى عن محمد صلوات الله عليه أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن"(١).

ولقد أوصى الله عباده المؤمنين بالرحمة فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾(٢).

وقد دلت أحاديث السنة النبوية على رحمة رسول الله ﷺ بأمته صغيرها وكبيرها.

فعن قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهِيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ)(٣).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ. قال: فقال: (يا أيُّها الناسُ، إنَّ منكم مُنفِّرينَ، فمَن أَمَّ الناسَ فلْيتجَوَّزْ، فإنَّ خَلْفَهُ الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجةِ)(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير ٧/ ٣٦٠.

(٢) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: الإيجاز في الصلاة وإكمالها، رقم ٧٠٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، رقم ٦١١٠، وصحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم ٤٦٦.

إن غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة وإلحاق المشقة بالمصلين دليل على رحمته ﷺ بالمدعوين؛ حيث أراد النبي ﷺ أن يؤكد للدعاة من بعده تأكيداً عملياً على أهمية الرحمة وأثرها على المدعوين، حتى إنه ﷺ كان يقوم للصلاة يريد إطالتها، ولكنه يتجوز فيها لسماعه بكاء صبي، وكذلك غضبه لإطالة الصلاة مما يؤدي إلى التنفير، حتى أن بعض الناس يُصر على الإطالة في الصلاة ويعتبر ذلك أمراً لابد منه، متغافلاً عن ظروف الناس وحاجاتهم وأحوالهم الصحية، إن السماحة والرحمة لها أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى.

ومما يدل على سماحة أخلاقه ﷺ ما جاء في هذا الحديث: فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: (اللهمَّ ارحمْهما فإني أرحمُهما)[1].

وقال قتادة: (خرجَ علينا النبيُّ ﷺ وأُمامَة بنتُ أبي العاص على عاتِقه فصلى، فإذا ركعَ وضعها، وإذا رفعَ رفعَها)[2].

ومن سماحة أخلاقه ﷺ أنه كان يداعب الأطفال ويلاطفهم، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَىٰ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: وضع الصبي على الفخذ، رقم ٦٠٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٩٩٦، وصحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم ٥٤٣.

وَاحِداً وَاحِداً. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[1])[2].

قال النووي: "وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم"[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعاً لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ. فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ. وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْناً. فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ)[4].

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه، ويستميت في هدايته ويأخذ بناصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها. ويخضد شوكة القوي حتى يرده إنساناً سليم الفطرة لا يضرى ولا يطغى.. فأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام وسكب في قلبه العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والسماحة والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدراً[5].

---

(١) جؤنة عطار: هي السقط الذي فيه متاع العطار، انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١٤٣٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم ٢٣٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٣٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم ٢٣١٦.

(٥) خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٤.

ولذلك قال الله تعالى فيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

وقد لازمته هذه الفضائل العذبة في جميع حياته وحثّ أصحابه عليها وبيّن فضل ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ)[2].

وقال ﷺ: (لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيّ)[3].

إن الرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي[4].

والرحمة لها أثر فاعل في مجال الدعوة إلى الله فعلى الدعاة إلى الله أن يكون تعاملهم مع المدعوين بالرحمة، يقول الشيخ السعدي: "إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وفي حقوق الوالدين والأقربين والجيران وسائر ما شرع وجدت

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الناس، رقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٤٣٩، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الرحمة، رقم ٤٩٤١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٧٤٠.

(٣) رواه الترمذي، كتاب: الأدب، باب: في رحمة الناس، رقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٤٣٩.

(٤) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي: ١٩٧٣م، ص ١٧١.

ذلك كله مبنياً على الرحمة فلقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق"[1].

وقال ابن حجر تعليقاً على حديث: (من لا يَرحمُ لا يُرحَم)[2]، قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم والمملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسعي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب، وقال ابن أبي جمرة: لا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحاً وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه"[3].

هذا وقد نبه الله نبيه أن يتعامل مع الناس بالرحمة وهو إمام الدعاة وقدوتهم وأنه إذا استعمل الخشونة والشدة معهم تركوه ولم يجالسوه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[4]. "أي لست يا محمد فظاً في أقوالك ومخاطبتك للناس غليظ القلب عديم الرقة واللطف والرحمة في واقع حالك الخلقي"[5].

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٦١ ، ٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب:رحمة الناس والبهائم، رقم ٦٠١٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٥/١٠.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٥) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

قال السعدي: "أي: برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك، ولو كنت سيىء الخلق قاسي القلب لانفضوا من حولك لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ، فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبها من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين، تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم ﷺ يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله وجذباً لعباد الله لدين الله"[1].

ويقول الشيخ الميداني: "وفي هذه الآية ثناء من الله على رسوله ﷺ بأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب، وفي هذا توجيه بصورة غير مباشرة لكل من يضطلع بمهمات الدعوة أسوة حسنة لهم، أن لا يكون فظاً سيئ الخلق شرساً، وأن لا يكون غليظ القلب قاسياً لا رحمة عنده، فمن كان كذلك نفر عنه المتأثرون ببياناته الدينية وانفضوا من حوله، وصار مزهوداً فيه، وغير ذي تأثير في دعوته، فإن الفظ السيئ الخلق أو الغليظ القلب لا يصلح ابتداءً لأن يكون داعياً لأحد من غير المسلمين إلى دين الله، لأنه سينفره من الدين لأول بادرة سوء خلق وفظاظة يلاحظها فيه، ويجفوه إذا أدرك أنه غليظ القلب عديم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ١٢١.

الرحمة جاف العواطف النبيلة، فلا يستمع إليه ولا يصغي إلى أقواله ونصائحه"[1].

ويقول الشيخ السيد سابق: "والرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بها حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً وتفيض على الدنيا رجاءً وأملاً، إن طبيعة الإسلام سهلة سمحة رحيمة، وهو يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة حتى ينعم الناس في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته"[2].

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٩٧/١.

(٢) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م، ص ١٧١.

المبحث الثالث

العدل وأثره في الدعوة إلى الله

إن من الأخلاق التي تدل على سماحة الإسلام العدل، قال الراغب في المفردات: "والعدل: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً ولا يوصف بالاعتداء بوجه نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عمن كف أذاه عنك، وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة كالقصاص وأروش الجنايات، وأصل مال المرتد، والعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر"(١).

وقال ابن حزم: "العدل هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه والعدل حصن يلجأ إليه كل خائف، وذلك أنك ترى الظالم وغير الظالم، إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه ولا ترى أحداً يذم العدل فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين"(٢).

وقال الجرجاني: "العدل: الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط، والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً"(٣).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة، ص ٣٢٥.

(٢) مداواة النفوس، الإمام ابن حزم الأندلسي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٨.

(٣) التعريفات، الجرجاني ص ١٥٣.

وقد دلت نصوص القرآن الكريم على أهمية العدل وفضله، وعلى ضرورة وجوده بين الناس ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

قال الإمام القاسمي: "والعدل هو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه، وقد جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية، ولمَّا تليت هذه الآية على أكثم بن صيفي قال لقومه: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذناباً، والآية لما فيها من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى صارت أجمع آية لاندراج ما ذكر فيها"[2].

وقال الطاهر بن عاشور: "والعدل إعطاء الحق إلى صاحبه وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات، إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، ومأمور بالعدل في المعاملة وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه، ومعاملة مع المخلوقات من أصول المعاشرة العائلية، والمخالطة الاجتماعية، وذلك في الأقوال والأفعال ومن هذا تفرعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية من آداب وحقوق وأقضية وشهادات ومعاملة مع الأمم، ومرجع تفاصيل العدل إلى أدلة الشريعة. فالعدل هنا كلمة مجملة جامعة وهي بإجمالها مناسبة إلى أحوال المسلمين حين كانوا

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) محاسن التأويل، الشيخ جمال الدين القاسمي ١٠/١٥٠ - ١٥١.

بمكة فيصار فيها إلى ما هو مقرر بين الناس في أصول الشرائع، وما رسمته الشريعة من البيان في مواضع الخفاء فحقوق المسلمين بعضهم على بعض من الأخوة والتناصح قد أصبحت من العدل بوضع الشريعة الإسلامية"[1].

ومن آيات القرآن الكريم التي تحث على خلق العدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[3] وقوله جل شأنه: ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾[4] وفي الأمر بالعدل قال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[5]. إلى غير ذلك من نصوص القرآن الكريم التي تأمر بالعدل وتحث عليه. أمَّا في السنة النبوية المطهرة فقد ذكَّر رسول الله ﷺ المسلم بأنه: (كلَّ يومٍ تَطلُعُ فيهِ الشمسُ، يَعدِلُ بينَ الناسِ صَدقةٌ)[6].

وربط عدل الإنسان في الدنيا بمصيره في الآخرة حيث يوضع الميزان ويحاسب الناس بالقسطاس المستقيم فأخبر ﷺ أن الله قد خص أهل العدل في الدنيا بإعلاء شأنهم في الآخرة، وتقريبهم منه سبحانه كما في الحديث: (إنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، بدون، ١٤/٢٥٥.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: الإصلاح بين الناس، رقم ٢٧٠٧.

يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[1].

والأمة المسلمة لا يشفع لها إسلامها في استحقاق التأييد من الله إذا كانت ظالمة، فمن أسباب التمكين في الأرض والتأييد من الله أن يحال دون تفشي المظالم وأن يعم العدل حياة المسلمين[2].

ولذلك قال ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[3].

وقد بيّن الإسلام أن الجميع متساوون أمام قانون الكتاب والسنة، ولا بد من تنفيذه فيهم بدرجة واحدة من أدنى فرد في الدولة إلى القادة والحكام، وليس فيه موضع لمعاملة شخص ما معاملة مختلفة عن غيره وكما جاء في القرآن أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ لأن يعلن: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[4].

يعني: إنني مأمور بالإنصاف دون عداوة فليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائناً من كان، وليس لأقاربي حقوق وللغرباء عندي حقوق أخرى ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٧.

(٢) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٢٣٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٤٦/٢٨.

(٤) سورة الشورى، من الآية: ١٥.

الأصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع، والذنب والجرم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل والفرض فرض على الكل.

يقول رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[1].

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (رأيت رسول الله ﷺ يقتص من نفسه)[2].

فالإسلام يدعو إلى العدل وذلك لأن العدل إذا وجد في المجتمع وجدت السماحة في الأخلاق والحرص على أن يأخذ الإنسان حقه ويعطي غيره حقه كاملاً، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي. إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ. وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضَ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ. فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلامٌ. وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلامَ الْجَارِيَةَ. وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا)[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: منه ٥٤، رقم ٤٣٠٤، وصحيح مسلم، كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، رقم ١٦٨٨.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج بن الجوزي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ٩٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ٥٤، رقم ٣٤٧٢، وصحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم ١٧٢١.

وفي الوقت الذي يأمرنا فيه الإسلام بالتسامح والاعتدال، ينهانا عن التشدد والغلو، والنصوص الإسلامية التي تدعو إلى الاعتدال كثيرة، والواقع أن الذي ينظر في هذه النصوص يتبين بوضوح أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو، ويحذر منه أشد التحذير، إن إشاعة العدل بين الناس والعمل على ترسيخه في التعاملات الاجتماعية مما يؤكد على سماحة الإسلام وتأكيده على تحري العدل في سائر الأمور وبين الناس كافة فالعدل في الإسلام ليس مقصوراً على المسلمين فحسب بل إن الإسلام ليؤكد على أهمية العدل بين الناس جميعاً، وعلى عدم ظلم غير المسلمين، وتوخي العدل معهم، ولعل التاريخ قد سجل بأحرف من ذهب عدل عمر بن الخطاب ﷺ حتى مع غير المسلمين مما كان له الأثر الكبير في نشر الإسلام في أصقاع الأرض، حيث كان عمر ﷺ لا يتردد في العدل والإنصاف للناس وإن كانوا غير مسلمين، فقد أنصف القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص، وأمر القبطي أن يضرب ابن عمرو بن العاص، وقال له اضرب ابن الأكرمين ثم قال قولته المشهورة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

إن العدل بمفهومه الشامل الواسع من الأخلاق الهامة في الدعوة إلى الله - تعالى- لأنه يدل على سماحة الإسلام وبره وقسطه، وبالعدل ينطلق الدعاة إلى الله يبشرون الناس بدين الله، قال الإمام الماوردي: "إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال ويكبر معه النسل ويأمن به السلطان. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي

إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل، والعدل أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن فيه البريء، يأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم والأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل"[1].

وبالعدل ينتشر الإسلام بين الناس فقد قال ربعي بن عامر ﷺ لرستم قائد الفرس لما سأله ما جاء بكم؟ قال: "ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى"[2].

والعدل من أركان الشريعة، ويستطيع الدعاة إلى الله من خلاله إبراز مقاصد الإسلام ومحاسن شريعته، يقول الإمام ابن القيم: "ومن له ذوق في الشريعة، وإطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل، الذي يفصل بين الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها وحَسُنَ فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ط/٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٤٤.

(٢) البداية النهاية، ابن كثير ٧/ ٤٠.

فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها"[1].

وفي أهمية العدل يقول الشيخ الميداني: "إن ميزان العدل يزن قيم الأشياء وقيم الأعمال بالاستناد إلى قواعد الحق فمتى تساوت كفتا الميزان استقامت إشارة العدل، إن العدل عمل شديد الدقة يحتاج إلى بصر نافذ ومهارة فائقة وخبرة بالأشياء والأعمال، ومعرفة بقيمها الذاتية، وإلا اختل ميزان العدل وجار، وجنح صاحبه إلى ظلم كبير شنيع وقد نبهت نصوص الشريعة الإسلامية على ارتباط ميزان العدل بمقاييس الحق ولما كان العدل أحد فروع خلق حب الحق وإيثاره، وأثراً تطبيقياً من آثاره كان لا بد أن نجد الذين يحبون الحق ويؤثرونه قوماً متصفين بخلق العدل فأهل الإيمان الصادقين أهل عدل فإيمانهم به يدفعهم إلى إقامة العدل والحكم بالعدل والشهادة بالعدل ومعاملة الناس بالعدل والقول بالعدل والكتابة بالعدل إلى غير ذلك مما يدخل فيه العدل والجور"[2].

وإذا كان من سماحة الأخلاق في الإسلام العدل بين الناس، وإشاعة هذا الخلق العظيم، فإن الإسلام ينهى عن الغلو والتجاوز في الأمور، لاسيما في أمور الدين لأن الغلو يؤدي إلى عواقب وخيمة تؤدي إلى النفور من الدين، ويؤدي إلى عقبات كبيرة في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

وحسبنا أن نقرأ هذه الأحاديث الكريمة لنعلم إلى أي حد ينهى الإسلام عن الغلو ويخوف من مغبته، فعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دون تاريخ ورقم للطبعة، دار الوطن، ص ٤ - ٥.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٦٥.

قال: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّين)[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)، قَالَهَا ثَلاَثاً[2]، والمتنطعون هم: المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، المتعصبون غير المتسامحين.

ومن أجل ذلك قاوم النبي ﷺ كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووزان به بين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان[3].

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، رقم ٣٠٢٩، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ص ٥١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم ٢٦٧٠.

(٣) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ط/٤ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٤ - ٢٧.

المبحث الرابع
الرفق وأثره في الدعوة إلى الله

إن من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام أن يكون الإنسان رفيقاً في أحواله كلها، فالرفق مظهر من مظاهر سماحة الخلق، قال ابن الأثير: "والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف ومنه اللطف، ويقال: الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة"(١).

وقال أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، لا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، قال سفيان الثوري لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما جاء في سائر الأخلاق"(٢).

هذا وقد دلّ القرآن الكريم على أهمية الرفق وضرورته، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٣٦٨.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/١٨٤، ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وأمر الله موسى ﷺ وأخاه هارون أن يخاطبا فرعون برفق ولين، قال الله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

هذا وقد دلت نصوص السنة النبوية على فضل الرفق وأهميته في حياة المسلم، فعن عائشة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)[2].

والرفق مما يحبه الله عز وجل، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ)[3].

والرفق كله خير، فقد جاء في الحديث: (مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ)[4].

وبين ﷺ أن وجود الرفق والسماحة في قوم دليل على أن الله تعالى أراد بهم خيراً. فقد روى البزار عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ)[5].

ودعا النبي الكريم ﷺ لمن رفق بأمته، فقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ)[6].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم ٢٥٩٥.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب: الأدب، باب: في الرفق ١٩/٨، وقال الحافظ الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ١٩/٨.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم ١٨٢٨.

وتتجلى مظاهر السماحة واللين من خلال نهي النبي ﷺ عن ضرب الآكل بسبب الجوع والجهل من بستان غيره بغير إذنه وأخذ ثوبه فقد روى ابن ماجة عن عباد بن شرحبيل - رجل من بني غبر - قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ. فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ. فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِهَا. فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي. فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ. فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ: (مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً. وَلاَ عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ[1].

ومن مظاهر الرفق والشفقة السماحة في تعليم الصغير، فقد روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ يقول: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ. وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي: (يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)[2].

وفي رواية لأبي داود أنه ﷺ قال له: (ادْنُ يَا بُنَيَّ، وسَمِّ اللَّه وكُلْ بِيَمِينِكَ وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)[3].

ولا تقتصر مظاهر الرفق والسماحة على المتعلمين فحسب، ولكنها تشمل الرفق مع المبتدئ والسماحة معه فعندما بعث النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن كان أول ما أوصاهما به أن: (يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا)[4].

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب: التجارات، باب: من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه، رقم ٢٣١٩، ٢/٣٥ المطبوع بتحقيق: د. الأعظمي، وقال عنه الألباني: صحيح، صحيح سنن ابن ماجة رقم ١٨٦١ ٢/٣١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب، رقم ٢٠٢٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب: الأطعمة، باب: الأكل باليمين، رقم ٣٧٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٧٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)، رقم ٦١٢٤.

قال ابن حجر: "والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده"(١).

ومن الصور العملية التي فعلها النبي ﷺ لتعليم أصحابه كيف يكون الرفق مع المبتدئ ما جاء عن معاوية بن الحكم الأسلمي قال: بَيْنَا أنا أُصَلِّي مَعَ رَسولُ اللهِ إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ علَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صلى رسول الله ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: (إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)(٢).

هذا ولم تكن السماحة والرفق قاصرة على الصغير، ولا على المبتدئ، إنما تشمل كذلك الرفق بالحيوان، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بينا رجلٌ يَمشي فاشتدّ عليه العَطَشُ، فنَزَلَ بئراً فشَرِبَ منها، ثمّ خرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يأكُلُ الثّرَى مِنَ العَطَشِ، فقال: لقد بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي. فمَلأَ خُفّهُ ثمّ أمسَكَهُ بفيه، ثمّ

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٦٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، رقم ٥٣٧.

رَقِيَ فسَقَى الكلْبَ، فشَكَرَ اللّهُ لهُ فغَفَرَ له. قالوا: يا رسول الله، وإنّ لنا في البهائِمِ أجْراً؟ قال: في كلّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجر)[1].

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الإحسان لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقي المسلم أعظم أجراً"[2].

إن الرفق في الدعوة إلى الله تعالى يؤدي إلى توثيق العلاقة بين الداعية والمدعوين لأن نفوس الناس لا تُساس إلا بالرفق، ولا يتأتى التأثير على المدعو إلا من خلال التلطف معه، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، حيث كان ﷺ قدوة في الرفق في تعليمه للجاهل وتوجيه المخطئ باللين وعدم تجريحه مما يحافظ على مشاعره، ويؤدي إلى كسبه واستقطابه واستجابته لتوجيهات الداعية.

يقول الشيخ الميداني: "وأولى الناس بالتخلق بخلق الرفق الدعاة إلى الله والمعلمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم الناس لا يؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقترن بخلق الرفق الذي يملك القلوب بالمحبة أما العنف فمن شأنه التنفير من الداعي، والتنفير من المعلم، إن من توجه له الدعوة إلى الخير أو يراد تعليمه متى وجد العنف والشدة انكمشت عاطفته فانغلق قلبه ومتى انغلق قلبه انغلق فكره، وعندئذ يصير كصخرة صماء ترجع ولا تمتص بخلاف الداعي أو المعلم الرفيق الحليم ذي الأناة، فإنه يملك القلوب بالمحبة وعندئذ تتفتح له القلوب التي أحبته،

(١) صحيح البخاري، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم ٢٣٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٤٢.

ومتى انفتحت إليه الأفكار، وتأثرت به وتفاعلت معه آتت دعوته وأعماله ثمراتها طيبة يانعة"[1].

إن الهدف الرئيس للداعية هو أن يستقيم المدعوون على طاعة الله، ويحرصوا على الطاعات ويتجنبوا المنكرات ولكي يتحقق له ذلك فلا بد من الرفق في الدعوة حتى يصل إلى هدفه المنشود.

"إن الداعية يواجه صنوفاً شتى من الناس وأخلاقاً متنوعة من فئات المجتمع ولكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات، وتحت كافة الظروف فلا بد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله وأن يتصف - في تعامله - بلين الجانب وسهولة المعاشرة حتى يفتح - لدعوته - مغاليق القلوب، وينفذ - بنصحه - إلى أعماق النفوس ومن هنا كان اتصاف الداعية بالرفق والتيسير في دعوته إلى الله شيئاً أساسياً في سلوكه إذا أراد السداد والصواب، وتتضح أهمية الرفق في حياة الدعاة باعتبار أن الداعية يبغي بدعوته هداية الناس إلى طاعة الله، واستنقاذهم مما يسخطه ويغضبه، وليس الأمر - بالنسبة له- مجرد أداء الواجب لتقوم الحجة على الناس فقط ولا يتسنى للداعية أن يقوم بهذه الوظيفة إلا إذا اتصف بالحلم وطول النفس والتزم الرفق ولين الجانب"[2].

ولا شك أن سلوك طريق الرفق في الدعوة هو سبيل الأنبياء عليهم السلام، "إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٨٥.

الدعوة إلى الله تعالى في أول الأمر بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة الذي يشعر المدعو والمأمور والمنهي بأنك مشفق عليه وتحب له الخير حتى تتفتح لك نفسه ويستجيب للدعوة والأمر والنهي، فإن الناس في حاجة إلى كنف رحيم إلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطاء فعلى الداعي أن يكون هيناً عطوفا مشفقاً على الناس"[1].

وتتسع صورة الرفق لتشمل الرفق في أخذ الدين حتى يقدم الداعية صورة معتدلة للتدين الحق، "إن الرفق في أخذ الدين هو العامل الرئيس في تكوين صورة متزنة عند الداعية المسلم وإن صورة الاتزان هذه تكمن في التعامل مع الفطرة وعدم معارضتها بما لا تطيق، وإنه ما من مسلم يأخذ هذا الدين بصورة غير طبيعية بها نوع من العنف مع نفسه وفطرته إلا نتج عنه انحراف عن المنهج الرباني الصحيح.. وهناك نتيجة أخرى وهي: التقوقع واعتزال الناس وهو مرض نفسي ناتج من الأخذ غير المتزن؛ فالمطلوب في هذا الدين الرفق في أخذ أحكامه، والرفق في تطبيقها وليست الشدة في أخذ هذا الدين وترك الرفق من التقوى"[2].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز أحمد المسعود ١/١٨٥.

(٢) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط/١ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٨، ٤٩.

المبحث الخامس
العفو وأثره في الدعوة إلى الله

إن من سماحة الأخلاق في الإسلام أن يعفو الإنسان عن الآخرين ويسامحهم ويتجاوز عنهم، قال الكفوي: "العفو: كف الضرر مع القدرة عليه وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو، والعفو عن الذنب يصح رجوعه إلى ترك ما يستحقه المذنب من العقوبة، وإلى محو الذنب وإلى الإعراض عن المؤاخذة كما يعرض المرء عما يسهل على النفس بذله"(١).

وقال الراغب: "والعفو: القصد لتناول الشيء، والعفو هو التجافي عن الذنب، وتعاطي العفو عن الناس"(٢).

وقال ابن الأثير: "العفو من أسماء الله تعالى وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة"(٣).

وقال الطيبي رحمه الله: "العفو يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو أبلغ من الغفور لأن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو وأصل العفو: القصد لتناول الشيء، سمي به المحو؛ لأنه قصد لإزالة الممحو وحفظ العبد منه ظاهر، قال الشيخ أبو القاسم: من عرف أنه تعالى عفو، طلب عفوه، ومن طلب عفوه تجاوز عن خلقه فإن الله تعالى بذلك أدبهم وإليه ندبهم وإن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن الاستيحاش بتذكيره سوء فعله بل يزيل عنه تلك الخجلة

---

(١) الكليات، لأبي البقاء الكفوي ص ٦٣٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٣٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٦٢٧.

بما يسبل عليه من ثوب العفو، ويفيض عليه من ذيول الصفح، وعفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقصى بالعبارات كنه معانيه"[1].

وقد أخبر القرآن الكريم أن العفو من أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[3]، وجعل الله العفو من صفات المتقين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: "ومن أوصاف المتقين أنهم إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم فإنهم لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم، ويدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه ويكون أجره على ربه الكريم لا على العبد الفقير"[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الطيبي ٥٩/٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٩.

(٣) سورة المجادلة، من الآية: ٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ١١٦.

وقد أمر الله نبيه بالصفح والعفو، قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[4]، وبين الله سبحانه عاقبة العفو والصفح فقال جل شأنه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، وبيّن الله تعالى أن ثواب وأجر الذي يعفو على الله فقال عز من قائل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[8]، ولقد كان من دعاء المؤمنين طلب العفو من الله قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[9].

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة الحجر، من الاية: ٨٥.

(٥) سورة النور، من الآية: ٢٢.

(٦) سورة الشورى، من الآية: ٤٠.

(٧) سورة التغابن، من الاية: ١٤.

(٨) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

وهذه النصوص جميعها تدل على التأكيد على خلق العفو والذي يدل بدوره على سماحة الأخلاق في الإسلام وكذلك أيضاً قد حثت السنة النبوية على العفو والمسامحة فعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ الرُّبَيِّعَ - وهي ابنةُ النَّضرِ - كسرَتْ ثَنيَّةَ جاريةٍ، فطلبوا الأرشَ وطلبوا العفوَ، فأبَوا. فأتَوُا النَّبيَّ ﷺ فأمرَهم بالقِصاصِ، فقال أنَسُ بنُ النَّضرِ: أتُكسَرُ ثَنيَّةُ الرُّبيِّعِ يا رسولَ اللّه ؟ لا والذي بَعثَكَ بالحقِّ لا تُكسَرُ ثنيَّتُها، فقال: (يا أنسُ كتابُ اللّهِ القِصاصُ. فرَضِيَ القومُ وعَفَوا، فقال النَّبيُّ ﷺ: إنَّ مِن عِبادِ اللّهِ مَن لَو أقسَمَ على اللّهِ لأَبَرَّه)[1].

ومن سماحة الأخلاق العفو عن المسيء فعن أسامة بن زيد ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ (ركبَ حماراً عليهِ إكافٌ تحتَهُ قَطيفةٌ فَدَكيةٌ، وأردَفَ وراءَهُ أُسامةَ بن زيدٍ وهو يَعود سعدَ بن عُبادةَ في بني الحارثِ من الخزْرج - وذلك قبلَ وَقعةِ بدرٍ - حتى مرَّ في مجلس فيهِ أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عَبَدةِ الأوثانِ، واليهودِ، وفيهم عبدُ اللّه بن أُبيٍّ بنُ سَلولَ، وفي المجلسِ عبدُ اللّه بن رَواحةَ. فلما غَشِيتِ المجلسَ عَجاجة الدَّابَّة خَمَّرَ عبدُ اللّه بنُ أبيٍّ أنفَهُ بردائه، ثم قال: لا تغبِّروا علينا. فسلَّم عليهمُ النبيُّ ﷺ ثم وقفَ فنزَلَ فدَعاهُم إلى اللّه، وقرَأ عليهمُ القرآن. فقال عبدُ اللّه بن أُبيٍّ بنُ سَلولَ: أيُّها المرءُ لا أحسن من هذا إن كان ما تقولُ حقاً، فلا تُؤذِنا في مَجالسنا، وارجعْ إلى رَحلكَ فمن جاءَك منَّا فاقصُصْ عليه، فقال ابن رَواحةَ: اغشَنا في مجالسنا فإنّا نحبُّ ذلك. فاستَبَّ المسلمونَ والمشركون واليهود حتى هَموا أن يَتواثبوا، فلم يَزلِ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: الصلح في الدية، رقم ٢٧٠٣، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب: القسامة، باب: إثبات القصاص في الأسنان، رقم ١٦٧٥.

النبيُّ ﷺ يُخفِّضهم، ثم ركبَ دابَّته حتى دخل على سعدِ بن عُبادةَ فقال: أيْ سعدُ، ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يريدُ عبدَ الله بن أُبيّ - قال كذا وكذا. قال: اعفُ عنه يا رسول الله واصفَحْ، فواللّهِ لقد أعطاكَ الله الذي أعطاك، ولقدِ اصطَلَحَ أهلُ هذه البُحيرةِ[1] على أن يُتوِّجوه فيعصِّبونه بالعِصابة، فلما ردَّ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ شَرِقَ بذلك، فذلك فَعلَ به ما رأيتَ. فعَفا عنه النبيُّ ﷺ)[2].

وفي الحث على العفو جاء عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي[3]. وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ. فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ)[4].

وفي مسامحة الخادم والعفو جاء عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت،

---

(١) أهل هذه البحيرة: هي القرية والمراد بها مدينة النبي ﷺ، انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: التسليم على مجلس فيه أخلاط، رقم ٦٢٤٥، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي وصبره على أذى المنافقين، رقم ١٧٩٨.

(٣) الأنصار كرشي وعيبتي: قال العلماء معناه: جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري، قال الخطابي: ضرب مثلاً بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه، والعيبة: وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ضربها مثلا، لأنهم سره وخفي أحواله، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ص ١٥١٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار، رقم ٢٥١٠.

ثم أعاد إليه الكلام، فصمت فلما كان في الثالثة قال: (اعْفُو عَنْهُ في كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً)[1].

وحثّ رسول الله ﷺ على السماحة والعفو، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ)[2].

وعلّم النبي ﷺ أصحابه فضل سماحة الخلق والعفو والغفران، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: كنتُ جالساً عندَ النبيِّ ﷺ، إذ أقبَلَ أبو بكر آخِذاً بطرَفِ ثوبه حتى أبْدى عن ركبتهِ، فقال النبيُّ ﷺ: أمّا صاحِبكُم فقد غامَرَ، فسلَّم وقال: يا رسولَ الله، إني كان بيني وبينَ ابن الخطابِ شيءٌ، فأسرَعْتُ إليه ثمَّ نَدِمتُ، فسألته أن يَغفِرَ لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك. فقال: يَغفرُ اللَّهُ لك يا أبا بكر (ثلاثاً). ثمَّ إنَّ عمرَ ندِمَ، فأتى منزلَ أبي بكر فسألَ: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبيِّ ﷺ، فجعلَ وَجهُ النبيِّ ﷺ يَتمعَّرُ[3]، حتى أشفق أبو بكرٍ فجَثا على رُكبتَيهِ فقال: يا رسولَ اللّهِ، واللَّهِ أنا كنتُ أظلمَ (مرَّتَين). فقال النبيُّ ﷺ: (إنَّ اللّهَ بَعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكرٍ:

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في حق المملوك، رقم ٥١٦٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٧٧٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم ٢٥٨٨.

(٣) يتمعَّر: أي يحمر من الغضب، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٦٠.

صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تارِكولي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذِيَ بعدَها)[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ [2]، وَيْلٌ لِلْمُصِرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[3].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ السماحة والعفو عمن يسيء إليه، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ. يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[4].

ومن سماحة خلق رسول الله ﷺ ما جاء عن عائشة قالت: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ. وَلاَ امْرَأَةً. وَلاَ خَادِماً. إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[5].

ومن نماذج توجيه النبي ﷺ أصحابه ﷺ إلى السماحة والعفو ما جاء عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَماً لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، رقم ٣٦٦١.

(٢) لأقماع القول: الأقماع جمع قمع وهو ما يوضع في فم الإناء إذا صبّ فيه دهن أو غيره، وفي فم القربة إذا صبّ فيه الماء، وقد شبه الذين يستمعون القول ولا يعونه بالأقماع التي لا تمسك شيئاً ممّا يفرّغ فيها، الموسوعة الحديثية ٩٩/١١.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٦٥/٢ رقم ٦٥٤١، وقال محققو المسند: إسناده حسن، انظر: الموسوعة الحديثية، ٩٩/١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين، باب: منه رقم ٥، رقم ٦٩٢٩، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم ١٧٩٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، رقم ٢٣٢٨.

خَلْفِي صَوْتاً (اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّهِ، فَقَالَ: (أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)[1].

ولخلق العفو أثر فاعل في الدعوة إلى الله تعالى فإن السماحة والصفح والعفو تحبب المدعوين، وتقربهم من الداعية، "لأن من فوائد سماحة النفس والعفو أن الإنسان من خلالها يستطيع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به، لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب والتغاضي عن السيئات والنقائص فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رفيقاً ليناً، سمحاً هيناً يسر بالنصيحة ولا يريد الفضيحة يسد الثغرات، ولا ينشر الزلات والعثرات، ويعامل الناس بالعفو والسماحة في الأمور المادية، ويجلب سمح النفس الهين لنفسه الخير الدنيوي بتسامحه، وذلك لأن الناس يحبون المتسامح الهين اللين، فيميلون إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير بكثرة محبيه والواثقين به ويجلب سمح النفس الهين اللين لنفسه رضا الله تعالى والخير الأخروي العظيم ما ابتغى بسماحته رضوان الله عز وجل"[2].

قال الماوردي: "وأما العفو والمسامحة في الأحوال فهي إطراح المنازعة في الرتب، وترك المنافسة في التقدم، فإن مشاحة النفوس فيها أعظم، والعناد عليها أكثر، فإن سامح فيها ولم ينافس كان مع أخذه بأفضل الأخلاق، واستعماله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من إفضاله برغائب الأموال ثم هو أزيد في رتبته، وأبلغ في تقدمه وإن شاح

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: صحبة المماليك، رقم ١٦٥٩.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٤٠ - ٤٤١.

فيها ونازع كان مع ارتكابه لأخشن الأخلاق، واستعماله لأهجن الآداب، أنكى في النفوس من حد السيف وطعن السنان، ثم هو أخفض للمرتبة وأمنع من التقدم"[1].

وعن أثر العفو وبيان ذلك يقول الشيخ السيد سابق: "وفي التعويض الذي أعده الله للعافين عن الناس شفاء للنفس وتفريغ للغيظ وإن ذلك أجدى على الإنسان وأحسن عاقبة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في ميزان الحق، إذ السيئة سيئة في قدر الله وفي عرف الناس، والحسنة حسنة في قدر الله وعند الناس كذلك، وإن لكل منهما نتائجه في واقع الحياة وإذا كان ذلك كذلك فلا معدي عن ما هو من شأنه أن يجمع القلوب ويربط الصلات وليست ثمة أبلغ من حسنة تقدم إلى المسيء فهي تذكره بالإنسانية التي مجدها من جانب، وتعيده إلى مودة أخيه من جانب آخر فطالما استعبد الإنسان إحسان وهذا معنى لا يظفر به إلا الذين زكت نفوسهم، وسمت أرواحهم فكانوا حكماء يعرفون للخير مواضعه، وللشر مواضعه كذلك"[2].

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية خلق العفو في الدعوة إلى الله إذ يقطع دابر الشحناء بين الداعية والمدعو وفيما بين الناس فعن ابن عباس ﷺ قال: (قَدِمَ عُيينةُ بن حِصن بنِ حُذَيْفَةَ فنزلَ على ابن أخيهِ الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمرُ، وكان القُرّاء أصحابَ مجالس عمرَ ومشاورتِهِ كهولاً كانوا أو شُبَّاناً. فقالَ عُيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي لكَ وجه عندَ هذا الأمير، فاستأْذِنْ لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابنُ عباسٍ فاستأذَنَ الحرُّ لعُيينة، فأذِنَ له

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق ص ١٥٠.

عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطّاب، فواللّهِ ما تُعطينا الجَزْل، ولا تَحكُم بيننا بالعدل. فغضبَ عمرُ حتى همَّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن اللّهَ تعالى قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1] وإنَّ هذا من الجاهلين. واللّهِ ما جاوزَها عمرُ حينَ تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب اللّه)[2].

(١) سورة الأعراف، الاية: ١٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، رقم ٤٦٤٢.

المبحث السادس
الإحسان وأثره في الدعوة إلى الله

إن من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام الإحسان، قال الراغب الأصفهاني: "وَالإحْسانُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحدهمَا الإنْعامُ عَلَى الغيرِ يُقَالُ أحْسَنَ إلى فُلانٍ، والثاني إحْسَانٌ في فِعْله وذلك إذا عَلِمَ عِلْما حَسَناً أو عَمِلَ عملاً حَسَناً وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (الناس أبْناءُ ما يُحْسِنُون) أي مَنْسُوبُونَ إلى ما يَعْلَمُونَ وَما يَعْمَلونَهُ منَ الأفعالِ الحسنَةِ، والإحسانُ أَعَمُّ مِنَ الإنْعَامِ، فالإحسَانُ فوق العدْل وذَاكَ أنّ العدل هُوَ أن يقتصر في أن يُعْطِيَ مَا عليه وَيَأْخُذَ مَالَهُ، وفي هذا نوعٌ من السماحة لكونه لم يتجاوز في حق الغير، بينما الإحْسَانُ أنْ يُعْطِي أكْثَرَ مِمّا عَلَيْه وَيأْخُذَ أقَلَّ مِمّا لَهُ، فالإحسَانُ زائدٌ على العدْلِ فَتَحَرّي العَدْلِ وَاجِبٌ وَتَحَرّي الإحْسَانِ نَدْبٌ وتَطَوُّعٌ"[1].

وقال أبو البقاء الكفوي: "والإحسان هو فعل ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به، كإطعام الجائع أو يصير الفاعل به حسناً بنفسه، والإحسان أعم من الإنعام، والإحسان هو أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل لأن العدل أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع"[2]. والإحسان مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام وقد حثت نصوص القرآن الكريم على فضل الإحسان وأهميته وبين الله

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ص ١١٩.

(٢) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣، ٦٤٠.

تعالى أنه يحب المحسنين قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وأخبر سبحانه أنه مع المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ورحمة الله سبحانه قريبة منهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5]، والمحسن لا يضيع أجره عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[8]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[9]، والإحسان جزاؤه الإحسان، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[10].

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٩٣.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النحل، من الآية: ١٢٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ٥٦.

(٦) سورة التوبة، من الآية: ١٢٠.

(٧) سورة هود، الآية: ١١٥.

(٨) سورة يوسف، من الآية: ٥٦.

(٩) سورة يوسف، من الآية: ٩٠.

(١٠) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

قال ابن كثير: "أي: لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة"(١).

والإحسان مما أمر الله به في القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾(٢).

والإحسان من صفات المتقين الذين وعدهم الله بمغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

يقول الشيخ السعدي: "والإحسان في عبادة الخالق هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم والسعي في جمع كلمتهم وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم على اختلاف أحوالهم، وتباين صفاتهم. ويدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات فمن قام بهذه الأمور فقد قام بحق الله وحق عبيده"(٤).

ومما هو معلوم "أن الإحسان ينتظم معنيين، أحدهما: الإتقان والإجادة والثاني: الإنعام على الغير، والإسلام دعا إلى الإحسان وندب

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٠٥/٧.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ص ١١٦.

إليه لأن ممارسته هي أنجح الوسائل لتثبيت الفضائل، وتعميق جذورها في النفس، وليرتفع بالمستوى الإنساني بصرف القوي في ترقية الحياة، وإفاضة البر على من هم في حاجة إلى البر والرحمة فالمحسنون في نظر الإسلام أحباب الله يكلؤهم بعنايته ورحمته لا تفارقهم طرفة عين، وصلة الإنسان بالله مهما عظمت لا يعترف بها إلا إذا صحبها الإحسان، والإحسان يتناول كل شأن من الشؤون وينتظم كل عمل من الأعمال"[1].

وإذا كان القرآن الكريم قد حث على خلق الإحسان ودعا إليه وأمر به فإن السنة النبوية المطهرة بينت أن الإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ففي حديث جبريل ﷺ الطويل مع النبي ﷺ وسؤاله عن الإحسان قال: (فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[2].

قال ابن رجب الحنبلي: "يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة وهي استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها، وقوله: (فإن كنت لا تراه فإنه يراك)، قيل: إنه تعليل للأول فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله في العبادة واستحضار قربه فإنه قد يشق ذلك عليه فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه"[3].

---

(١) انظر: إسلامنا، الشيخ السيد سابق، دار الكتاب العربي، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإسلام والإيمان والإحسان، رقم ٨.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ط/٩ دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١٢٨ - ١٢٩.

ويبلغ الإسلام حداً لم يبلغه دين آخر في السماحة والإحسان فيأمر به حتى في القتل والذبح فعن أبي يعلى شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[1].

قال ابن رجب الحنبلي: "ولفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين خلافاً لبعضهم، واستعمل القرآن لفظ الكتاب فيما هو واجب حتم كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2]، أو فيما هو واقع قدراً لا محالة كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[3]، وحينئذ فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان، وهذا الأمر بالإحسان يكون للوجوب كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة، والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه، وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها. وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال وإحسان كل شيء بحسبه"[4].

وإذا كان الإحسان من سماحة الأخلاق فإن للإحسان صوراً كثيرة منها الإحسان إلى الوالدين: ويكون في حياتهما وبعد موتهما فيكون في حياتهما ببرهما وطاعتهما في المعروف والإنفاق عليهما وعدم الضجر منهما، قال الله تعالى:﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[5]،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، رقم ١٩٥٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٨٣.

(٣) سورة المجادلة، من الآية: ٢١.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٣٨٢/١.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٣٦.

وقال جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2]، ووصى الله بالوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[3]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾[4].

قال القرطبي: "ومن الإحسان إلى الوالدين أن يتلطف معهما بقول لين لطيف كريم، وأن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره، فإن تلك نظرة الغاضب وهذا من بر الوالدين ومن برهما الترحم عليهما والدعاء لهما وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك"[5].

وبيّن رسول الله ﷺ أهمية الإحسان إلى الوالدين فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاةُ على مِيقاتِها. قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ برُّ الوالِدَين. قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله)[6].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)[7]، ومن صور البر بهما بعد وفاتهما

---

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٥١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحقاف، من الآية: ١٥.

(٤) سورة العنكبوت، من الآية: ٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٤٢/١٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم ٥٢٧، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، رقم ٨٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: العتق، باب: فضل عتق الوالد، رقم ١٥١٠.

ما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّ مِنْ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ)[1].

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا. قال: (نَعَمْ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)[2].

ومن مظاهر سماحة الأخلاق الإحسان إلى الزوجة والأولاد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (استَوصوا بالنساءِ، فإن المرأةَ خُلقِتْ من ضِلَع، وإن أعْوَجَ شيءٍ في الضلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كَسَرْته، وإن ترَكتَه لم يَزَل أعْوَج، فاستوصوا بالنساء)[3].

وعن عمرو بن الأحوص الجشمي ﷺ أنه ، مع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: (أَلاَ واسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيراً، فإِنَّمَا هُنَّ عَوانٌ عِنْدَكمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلِكَ، إلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنَّ في المضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ. فَإِنْ أَطَعْنكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُم حَقّاً. ولِنسَائِكمْ عَلَيْكُمْ حَقاً. فَأَمَّا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: فضل صلة أصدقاء الأب والأم، رقم ٢٥٥٢.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب: الأدب، باب: صل من كان أبوك يصل، رقم ٣٦٦٤، وأبو داود ٥١٤٢، وأحمد ٤٩٨/٣، والحاكم في المستدرك ١٥٥/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الوصاة بالنساء، رقم ٥١٨٦، وصحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، رقم ١٤٦٨.

حَقكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئَنَ فُرُشكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ولاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. ألاَ وحَقهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وطَعَامِهِن)[1].

وعن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: (أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ فِي الْبَيْتِ)[2].

وأما الإحسان إلى الأولاد فحقهم على الوالد أن يحسن أدبهم وأن يختار لهم أماً صالحة، وأن يتعاهدهم بالنصح والإرشاد دائماً والإنفاق عليهم بإحسان، فعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ فِي أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ فِي بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، والخادمُ راعٍ فِي مالِ سيِّدهِ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ - قال: وَحَسِبتُ أَنْ قد قال: وَالرجلُ راعٍ فِي مالِ أَبيهِ وَمَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، فَكلُّكم راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ)[3].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)[4].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١١٦٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٢٧٦.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: النكاح، باب: في حق المرأة على زوجها، رقم ٢١٤٢، وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن أبي داود ص ٢٥٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، رقم ٢٥٥٤، وصحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل، رقم ١٨٢٩.

(٤) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم ٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٨٢.

وعن أبي ثربة سبرة بن معبد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: (عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصلاةَ ابنَ سَبَعِ سنينَ، واضْرِبُوْهُ عَلَيْهَا ابنَ عَشْرٍ)[1].

ومن صور الإحسان إلى الأولاد النفقة عليهم وعدم البخل أو الإمساك، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ. وَدِينارٌ تَصدَّقْتَ بِهِ عَلَىٰ مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ)[2].

وعن أبي عبدالله - ويقال له: أبي عبدالرحمن ثوبان بن بجدد - مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ)[3].

ومن مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام ما جاء في الإحسان إلى الأقارب والأرحام وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم وزيارتهم والنفقة على الفقير والمسكين، ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[4].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم ٤٩٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٨٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال، رقم ٩٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال، رقم ٩٩٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم ٥٩٨٦، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم ٢٥٥٧.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ليسَ الواصلُ بالمُكَافِىءِ، ولَكِنَّ الواصلَ مَنْ إذَا قَطعَتْ رَحِمُهُ وَصلَهَا)[1].

ومن مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام الإحسان إلى الجيران، فعن ابن عمرﷺ وعائشة قالا: قال رسول الله ﷺ: (ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه)[2].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)[3].

وحذر النبي ﷺ من إيذاء الجار أو تعريضه للأذى أو الشر، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ). قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[4].

كما حضّ الإسلام على التعاون بين الجيران كصورة من صور السماحة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ)، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟ وَاللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، رقم ٥٩٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٤، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٢٦٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٢٦٢٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٦، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم إيذاء الجار، رقم ٤٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة، رقم ٢٤٦٣، وصحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: غرز الخشبة في جدار الجار، رقم ١٦٠٩.

ومما يدل على سماحة الأخلاق في الإسلام دعوته إلى مخالطة اليتامى باعتبار أن المجتمع الإسلامي مكلف برعاية مصالح الضعفاء واليتامى والأرامل، واليتامى بفقدهم آباءهم وهم صغار ضعاف أولى برعاية المجتمع وحمايته.

"ولما استجاب المسلمون لنداء ربهم وكفلوا اليتيم كان بعض الأوصياء يخلطون طعام اليتامى بطعامهم وأموالهم بأموالهم للتجارة فيها جميعاً، وكان الغبن يقع على اليتامى فنزلت الآيات في التخويف من أكل أموال اليتامى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]، عندئذ تحرج الأتقياء حتى عزلوا طعام اليتامى من طعامهم فكان الرجل يكون في حجره اليتيم يقدم له الطعام من ماله، فإذا فضل منه شيء بقي له حتى يعاود أكله أو يفسد فيطرح، وهذا تشدد ليس من طبيعة الإسلام فوق ما فيه من الغرم أحياناً على اليتيم، فعاد القرآن يرد المسلمين إلى الاعتدال واليسر والسماحة في تناول الأمور وإلى تحري خير اليتيم والتصرف في حدود مصلحته، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فليس المعول عليه ظاهر العمل وشكله ولكن نيته وثمرته والله لا يريد إحراج المسلمين وإعناتهم والمشقة عليهم فيما يكلفهم، ولو شاء الله لكلفهم هذا، ولكنه لا يريد إلا الخير واليسر والصلاح"[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.

(٣) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة ص ٨٥ - ٨٦.

وقد دلت الأحاديث النبوية على فضل رعاية اليتيم وكفالته، عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنةِ هكذا، وأشارَ بالسبابة والوُسطى وفَرَّجَ بينهما شيئاً)[1].

قال ابن حجر: "وكافل اليتيم هو القيّم بأمره ومصالحه، قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، وفي الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى، ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة، لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة ﷺ رفعه: (أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرني فأقول: من أنت: فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتام لي)، ورواته لا بأس بهم، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول، وعلو المنزلة، والحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي ﷺ أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك"[2].

إن اليتامى ضعفاء فقدوا ظهيرهم ونصيرهم من أجل هذا بادرهم الإسلام بالإحسان إليهم ورعايتهم وتعويضهم عما فقدوه، وبذل الحنان والعطف لهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، رقم ٦٠٠٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٤٦/٣.

وقد جاء في رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كَافِلُ الْيَتِيمِ، لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ)[1].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ)[2].

وما من شك أن كل هذه النصوص النبوية تؤكد سماحة الإسلام في التعامل مع اليتامى والأرامل وأنها تدعو إلى الإحسان والبر واليسر والصلة، مما يدل على عظمة هذه الشريعة وعظمة ما جاءت به قال ﷺ: (أَحَبَّ الدِّينِ إِلَى اللَّه الحنيفِيَّةُ السَّمْحَةُ)[3].

إن للإحسان أثراً عظيماً في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يعمل على كسب ود القلوب، وما أحوج الداعية إلى ذلك، لأن الإنسان إذا انقاد بقلبه وانشرح صدره، فإنه يتأثر بالترغيب والترهيب، بل ويحرص على الالتزام بتعاليم الإسلام، ويسأل عما خفي عليه، وتكون هناك حالة من التفاعل بين الداعية والمدعو، أما إذا أعرض المدعو عن الاستجابة، فلن تفلح جهود الداعية في دعوته، ولذا فإن التخلق بالإحسان وإشاعته بين الناس، يعد من أهم الجسور التي يعبر من خلالها الداعية إلى المدعوين، لأن الإحسان بمفهومه الواسع الشامل الذي يحبب الناس في

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، رقم ٢٩٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الساعي على المسكين، رقم ٦٠٠٧، وصحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، رقم ٢٩٨٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم ٢٩، مقدمة الباب، قال ابن حجر: رواه البخاري معلقاً ووصله في الأدب المفرد ووصله أحمد بن حنبل ٢٩٤/١.

دين الله ويقوي الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع بصفة عامة وبين الداعية والمدعوين بصفة خاصة، فالإحسان خلق من الأخلاق التي لها دور رئيس في الدعوة إلى الله، وكما يكون الإحسان بالمال والنفقة والعطاء يكون ببذل المعروف والمؤازرة بالجاه، قال الماوردي: "ولا عذر لمن منح جاهاً أن يبخل به فيكون أسوأ حالاً من البخيل بماله الذي قد يعده لنوائبه، ويستبقه للذته، ويكنزه لذريته، وبضد ذلك من بخل بجاهه لأنه قد أضاعه بالشح، وبدده بالبخل وحرم نفسه غنيمة مكنته، وفرصة قدرته، فلم يعقبه إلا ندماً على فائت، وأسفاً على ضائع، ومقتاً يستحكم في النفوس، وذماً قد ينتشر في الناس وقال بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله، وأحسن والدُولة لك يُحسن لك والدُولة عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك"[1].

ومن خلال خلق الإحسان تتأكد وحدة المجتمع الإسلامي مما يكون له عظيم الأثر في دعوة غير المسلمين، "إن بوسع المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويفخروا بحضارتهم ويشمخوا بإنسانيتهم التي ستبقى علامات مميزة وسمات خاصة بالأمة الإسلامية التي تهتدي بوحي الله وقيمه الأخلاقية الثابتة دون أن تحتكم لأهواء الفلاسفة والمفكرين الذين ولدوا الحيرة للإنسان وقضوا بآرائهم النفعية المادية على أسمى خصائص الإنسانية، إن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة والإحسان، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ، وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً فيتم

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٣٢٢.

تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقية، وتتوحد مصادر التلقي عندهم إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة، ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم"[1].

ومن خلال خلق الإحسان وبيان منزلته في الإسلام يمكن دعوة غير المسلمين لأن دعوتهم إلى الإسلام لا تكون إلا بالاختلاط بهم ولا يتصور دعوة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي دون اختلاط بهم ومعرفة طبائعهم وعاداتهم وثقافاتهم ومن ثم الاستفادة منها في دعوتهم، وذلك لا يكون إلا بمخالطتهم والبر بهم والإحسان إليهم والعدل معهم والرحمة والرأفة بهم، وكل ذلك مما تضافرت عليه نصوص الكتاب والسنة فضلاً عما في الإحسان إلى غير المسلم من تأثير بالغ في نفسه وتعريف له بمحاسن الإسلام عملياً وقد يدعوه هذا إلى الدخول فيه"[2].

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسّر لي إنجاز هذا البحث الذي حرصت فيه على بيان أهم مظاهر سماحة الأخلاق المتمثلة في الحلم والرحمة والعدل والرفق والعفو والإحسان.

وقد عالج البحث بصورة موجزة سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله، حيث ذكرت الأدلة الشرعية على ذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يستلزم تحلي الدعاة

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٢٥٠.

(٢) انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٤٧.

بسماحة الأخلاق وتوظيف ذلك في الدعوة إلى الله والعمل على إشاعة تلك السماحة بين الناس من خلال الحث عليها في ضوء ما ورد في الكتاب والسنة، وبيان تحلّي النبي ﷺ بالسماحة الخلقية، وكيفية تطبيقه ﷺ لذلك في الدعوة إلى الله تعالى والآثار الحميدة التي تمثّلت في استجابة المدعوين وانشراح صدورهم للإسلام، مما يؤكد أهمية سماحة الأخلاق وأثرها في الدعوة إلى الله، خاصة في هذا العصر الذي يحاول فيه خصوم الإسلام إلصاق العنف والإرهاب بديننا، ووصفه بأنه دين العنف والقسوة والتطرف، مما يستوجب إبراز سماحة الأخلاق في الإسلام نظرياً وعملياً، وبيان النماذج العملية من خلال ما أمر به الإسلام من السماحة في التعامل مع الآخر من غير المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

قائمة المصادر والمراجع:

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الكتاب العربي، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة.

٢. أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣. الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان، ط/١ دار النشر الدولي، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ط/٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥. إسلامنا، الشيخ السيد سابق، ط/ دار الكتاب العربي، دون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة.

٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط/٢، ١٤٢٥هـ/١٩٩٤م.

٧. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: معالي أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١ دار هجر: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون، تونس، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

٩. التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠. التعريفات، الإمام الجرجاني، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٣. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ط/٩ دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: معالي أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٥. خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٦. دعوة الإسلام، الشيخ السيد سابق، ط/١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م.

١٧. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٨. ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٩. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ط/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.

٢٠. سنن ابن ماجة، الإمام/ محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١. سنن أبي داود، الإمام/ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢. سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٣. سنن النسائي، الإمام/ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، ط/١ دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٤. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الإمام محمد بن عبدالله الطيبي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط/١، ١٤١٣هـ.

٢٥. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن، دون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.

٢٦. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ط/٤ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٧. صحيح البخاري، الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، ط/١ بيت الأفكار الدولية، الأردن: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٨. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٢٩. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣٠. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣١. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١ مكتبة المعارف، الرياض، بدون ذكر التاريخ.

٣٢. صحيح مسلم، الإمام/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٣. صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن بن علي الربيعة، ط/٢ دون ذكر دار النشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٤. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دون تاريخ ورقم للطبعة، ط/ دار الوطن.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن: ٢٠٠٤م، بدون ذكر رقم الطبعة.

٣٦. فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٧. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، ط/٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٨. لسان العرب، ابن منظور، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام/ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ مؤسسة المعارف، بيروت: ١٤٠٦هـ.

٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤١. محاسن التأويل، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ط/٢ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤٢. مداواة النفوس، الإمام ابن حزم الأندلسي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، الإمام/ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ط/ دار المعرفة، بيروت: بدون ذكر لتاريخ ورقم الطبعة.

٤٤. مسند الإمام/ أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط/٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٥. المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط/١ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة.

٤٧. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو الفرج بن الجوزي، ط/٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٤٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام ابن الأثير، ط/١ دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢١هـ.

٤٩. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار، ط/١٠ دار طيبة، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥٠. الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/ ٣ مؤسسة الريان، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.